مكيال العدالة الإسرائيلية

□ مريم روبين

أصدرت محكمة العدل العليا الإسرائيلية أخيرا قرارا تعترف فيه بحق السيدة « إيفون سرسق » في امتلاك مساحات شاسعة من الأراضي في إسرائيل بما في ذلك أسواق بأكملها في مدينة يافا القديمة ، وقد جاء أيضا في قرار محكمة العدل العليا أن حرمان عائلة سرسق من أملاكها الشاسعة إنما هو عملية جائرة شبيهة بعمليات « قطاع الطرق » كما تعهدت المحكمة في نفس القرار بدفع مالا يقل عن عشرة ملايين جنيه استرليني للسيدة « إيفون » الوريثة الوحيدة لعائلة سرسق .

وليس سرا على العالم العربي حقيقة الدور الذى لعبته عائلة سرسق خلال فترة الانتداب البريطاني حتى نكبة فلسطين عام ١٩٤٨ وكيف كانت تمتلك هذه العائلة مئات الآلاف من الفدادين في فلسطين وكيف ساهمت هذه العائلة في تكوين دولة إسرائيل عندما باعت هذه الأراضي الشاسعة بمن عليها من فلاحين للوكالة اليهودية والمؤسسات والأفراد اليهود قبل نكبة فلسطين ! !

ونحن لا نريد أن نشكك في الأسباب التى أدت إلى اتخاذ مثل هذا القرار ونلقى الاتهامات جزافا ضد محكمة العدل الإسرائيلية . ولنبهها بأن قرارها قد جاء « مكافأة رمزية » في مقابل الدور الحيوى الذى لعبته « عائلة سرسق » في الأربعينات عند تكوين دولة إسرائيل . كما لا نريد أن نقول إن هذا القرار قد جاء إرضاء لمحاميها الإسرائيلي البارع الجنرال حاييم هيرتزوج الذى كان يعمل من قبل مديرا لمكتب رئيس الوزراء الإسرائيلي . ! !

ولكن نريد فقط أن نتساءل ونستوضح عن موقف محكمة العدل الإسرائيلية التى اعتذرت لعائلة سرسق عما أصابها وقررت إعادة حقوقها الشرعية لها بعد أكثر من الاثنين عاما .

يا ترى ما هو موقفها من بقية الأراضى العربية التى اغتصبها « قطاع الطرق » من العصابات الصهيونية . وهل ستقرر إعادتها إلى أصحابها من اللاجئين المشردين الفلسطينيين ؟

ويا ترى ما هو موقفها من قرار الحكومة الإسرائيلية بإخلاء أحياء بأكملها في مدينة القدس العربية بعد أن طردت عشرات المئات من السكان الفلسطينيين لتقام على أنقاضها أحياء يهودية جديدة ؟ .. وعلى أى أساس أعطت نفس المحكمة الإسرائيلية الحق للمستوطنين اليهود الجدد في تجريد المواطنين العرب من ديارهم في مدينة القدس ونابلس وحلحول والخليل ؟ . وما هى الحيثيات القانونية التى استندت إليها المحكمة الإسرائيلية عندما قررت تجريد مئات الآلاف من المواطنين الفلسطينيين الذين يعملون خارج إسرائيل من أراضيهم بقرارات تصدرها الآن لصالح المستوطنين اليهود من جماعات جوش ايمونيم وحركات الكيبوتسيم والموشاف والوكالة اليهودية وغيرها ؟ !

فهل يا ترى ترى المحكمة العليا الإسرائيلية « العدالة » في إسرائيل تميزاً ... وترى الحقوق الشرعية بمنظارين ؟ !

وإذا كانت ليست كذلك فأين كان ضمير المحكمة الإسرائيلية عندما أقر حاكم لواء حيفا هدم منازل قريتى مصمص وأم الفحم العربيتين ! وأين كانت « عدالة » المحكمة الإسرائيلية عندما أقر حاكم حيفا اعتقال رجال القريتين وترحيل نسائها للإقامة في مخيمات قريبة من القريتين عقابا لهم على ما اقترفه بعض أطفال القريتين إذ حطموا بالحجارة زجاج إحدى السيارات العسكرية الإسرائيلية ! !

مجرد تساؤلات موجهة للمحكمة الإسرائيلية وما زلنا في انتظار الرد .

من أحمس إلى السادات

□ عبد العال الحمامصي

تراكمت على مدى العصور نظرتنا الى سيناء على أنها مجرد امتداد أجرد يعبث الجدب ويغمره القحط .. و .. كانت تحظى في نفوسنا بمشاعر تحتل مقدساتنا الدينية لارتباطها التاريخى بكل الرسالات السماوية وعقائد التوحيد .

ولكنها لم تأخذ من إحساسنا الوطنى الامتداد الوجدانى الذى وصل إليه وادى النيل في أغوار مشاعرنا القومية .. حتى جاء العصر الحديث ليفيقنا على حقيقة أهميتها للوادى لا كمصدر للخطر عليه أو امتداد لقدرة الحركة على صده .. إنما كقابلية للمستقبل الحضارى لهذا الوطن .. فإذا كانت أرض الوادى تضيق بنا فقد أعطانا الله التعويض في مساحات شاسعة أوكل الينا مكابدة تعميرها ومعاناة اخضرارها إذا أردنا أن نكون في مستوى التحديات التى فرضها الطبيعة علينا .. خصوصا أن قدرات العلم تتيح الامكانية إذا تضافرت معها إرادة الانسان ! !

وإذا كانت سيناء جناحنا الأيمن للتحليق والانفصال عندما يهدد خطر الغزو فإنها في نفس الوقت غاية القرن الاحتياطى للامتداد الحضارى عندما تضيق بنا ساحة الوادى .. وإذا كان هذا الوادى هبة النيل فلتكن سيناء هبة الإرادة المصرية القادرة على أن تصنع المعجزات ..

هذه خواطر تداعت بعد قراءة كتاب حيوى هام أصدرته دار التعاون مؤخرا بعنوان « سيناء من أحمس إلى السادات » للكاتب الصحفى المعروف الأستاذ أحمد أبو كف .. لقد قرأنا لهذا الكاتب الصحفى الناجح موضوعاته الصحفية المتألقة في صحف دار الهلال ..

كما قرأنا له اجتهاداته الإسلامية ومؤلفاته الدينية والصوفية وقد زاملته في دار الهلال فترة أتاحت لى أن أعرف فيه واحدا من أنشط وأجد عناصرها الصحفية التى تتسلح لمهنتها بالثقافة والكفاءة والنزوع الى الابتكار ..

ويأتيا كتابه هذا « سيناء من أحمس الى السادات » موسوعة طريفة النفس عميقة الغور .. من أهم الدراسات الضافية التى كتبت عن سيناء في العصر الحديث .. وإذا كان كتابه هذا قد جاء مسحا عن كل ما يتعلق بسيناء من جميع جوانبها التاريخية والجغرافية والبيئية والاستراتيجية والحياتية وإذا كانت المراجع العديدة من عربية وأجنبية التى استوعبها من خلال نظرة ناقدة ومقارنة قد شكلت له المدخل الذى انطلق من خلاله ليجوس لنا سيناء في ماضيها وحاضرها .. فإن له فضل صهر هذه المراجع في بوتقة إضافاته من خلال ثقافته ومن خلال معايشته لسيناء على الطبيعة .

وإذا كان الكتاب قد تعددت جزئياته فإن أخطر ما كشف عنه أحمد أبو كف من خلال الوثائق ونظرته التحليلية لها هو المخطط الذى كان يدبر لسيناء .. والذى أحبطه السادات بالحرب وبالمبادرة – لتقصير يد مصر وكتم أنفاسها الحضارية ليصبح المشرق العربى أعزل في مواجهة الخطر ..

ولهذا فإن استرداد سيناء لم يكن إنقاذا لمصر فحسب .. ولكنه كان وقاية للمنطقة من مغبة ما كان يراد بها .. ولنقرأ هذا الكتاب جيدا .. وفوق هذا فلنأخذ عبرة التاريخ .. فكل خطر تعرضت له المنطقة امتدت إليه يد مصر عبر سيناء لترده وتنهيه ! !

ومن الدلالات التى يقدمها هذا الكتاب .. أن كل غزو تعرضت له مصر منذ الهكسوس حتى اليهود قد ردته مصر .. إلا غزوة مباركة تقبلتها راضية .. بل آزرتها وأعطتها القدرة على الامتداد نحو أفريقيا والأندلس .. إنها غزوة الاسلام .. بل إن رهبان دير سانت كاترين – كما بين أحمد أبو كف – كانوا عونا لهذا الفتح وسندا له باسم المسيحية التى تعانقت مع الاسلام في فضاء الصحراء قبل أن تعانقه في جنات الوادى .